جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد الثامن والثمانون/ السنة الثانية والخمسون
شعبان – ١٤٤٣هـ / آذار ٦/٣/٢٠٢٢م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثامن والثمانون السنة: الثانية والخمسون/ شعبان – ١٤٤٣هـ / آذار ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـويـات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
التنكير والتعريف بـ(أل) في القراءات القرآنية مقاربة دلالية شرمين نجم الدين رشيد الريكانيّ و محمد إسماعيل المشهدانيّ	1- 48
الوعي بتاريخ اليونان القديم في الشعر الجاهلي- ذو القرنين أنموذجاً – إسلام صديق حامد و باسم إدريس قاسم	49- 68
جهود المستشرق آرثر آربري في ترجمة القرآن محمود أَحمد البرواري و فارس عزيز حمودي	69- 86
أَبْنِية الأفعال المُجردة ودلالاتُها في سُورة المائدة علي محمود الشرابي وهلال علي محمود	87- 123
الأفعال الكلامية عند اوستين وسيرل دراسة وصفية تمارة نبيل اليامور و آن تحسين الجلبي	124- 141
رسالة الخليفة علي بن ابي طالب إلى ابنه الحسن (رضي الله عنهما) عند انصرافه من صفين إيمان خليفة حامد الحيالي	142- 167
البنية الحجاجية في رواية جحدر والأسد لطلال حسن رفل حازم العجيلي و أَحمد عدنان حمدي	168- 186
ألفاظ الزمن في شعر قيس بن الملوح واثق شاكر و نهى محمد عمر	187- 220
الاستلزام الحواري في شخصيات رواية (سر الشَّارد) لعبدالله عيسى السلامة زياد طارق الحاصود و أَحمد عدنان حمدي	221- 248
الحركة في الخطاب القرآني . سياقاتها وأَنواعها صالح ملا عزيز وفضيلة أَحمد سعيد	249- 287
مصطلحات علم البديع في شرح ديوان ابي تمام للخطيب التبريزي(502هـ) أحمد سليمان الكوياني و أحمد يحيى الدليمي	288- 313
الاستهلال في شعر حسان بن ثابت صلاح نجم الدين بابان	314- 344
التشبيه المركب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) علي عبد علي الهاشميّ و شيماء أحمد محمد	345- 381
تقانات الهجاء في شعر ابن ميّادة المرّيّ جاسم إلياس أحمد الأَحمد	382- 414
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
الدور السياسيّ للوعاظ في بغداد – محي الدين ابن الجوزيّ (ت: 656هـ/1258م) أَنموذجًا أَشرف عزيز عبد الكريم و شكيب راشد بشير	415- 448
دور حزب الاستقلال في مجلس النواب المغربي اثناء المدة (1984-1992) كريم سالم حسين البدراني و رابحة محمد خضير	449- 466
البطائح في جنوب العراق دراسة في تكوينها و واقعها الاقتصادي (صدر الإسلام – نهاية العصر العباسي الأَوَّل) أَحمد عبيد عيسى عبيد	467- 480
ملكات مملكة بيت المقدس الصليبية وأَدوارهنَّ السياسية 492هـ/1098م- 583هـ/1187م	481- 515

ثورة خطَّاب الجعفريّ	
بحوث الآثار	
استعمال الأَبنية الفعلية الأَكدية من الصيغة الثانية المضعفة في قصة الخليقة البابلية (دراسة احصائية) المعتصم بالله رمضان عبدالله و أمين عبد النافع أمين	548 -516
بحوث المعلومات والمكتبات	
المتطلبات الوظيفية للبيانات الاستنادية للموضوعات FRSAD ومدى جاهزية المكتبات الأكاديمية المحلية للعمل الاستنادي في البيئة الشبكية إسماء غانم رمضان و رفل نزار عبدالقادر الخيرو	597 -549
بحوث الفنون الجميلة	
موقف شوبنهاور من الفنون الجميلة زهراء أمجد الطربة و صباح حمودي نصيف	618 -598
بحوث الشريعة والتربية الإسلاميَّة	
نماذج من ترجيحات الإمام ابن عرفة (ت803هـ) في تفسيره لسورة البقرة في الآيات (14،15)،(30)،(35)، أنموذجًا جمعًا ودراسةً- أسماء إبراهيم خليل و فارس فاضل موسى	641 -519

CC BY

التشبيه المركَّب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأَخلاق لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)

علي عبد علي الهاشميّ * و شيماء أحمد محمد**

تأريخ التقديم: 2021/3/13 تأريخ القبول: 2021/4/10

المستخلص:

يتناول البحث صورة التشبيه المركب بنوعيه (التمثيلي والضمني) في كتاب (مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم (ت 456 هـــــ)) ـرحمه الله ـ وكيف وظفه؟ وموطن الجمال فيه ومقوماته من لغة وإيحاء وخيال ودوره ودقته في اختيار ألفاظ الصورة التشبيهية التي توحي بدلالات أخرى تفهم عن طريق سياقها في النص، وقد كان لهذا النوع من التشبيه دور كبير في تأدية معاني البعد عن الرذائل والترغيب بالفضائل في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي_ رحمه الله _ وكان التشبيه المركب بليغاً؛ إذ صبغ بصبغة فكرية منطقية يتناولها اديب ومفكر وشاعر وفيلسوف عربي مسلم وهو ابن حزم الأندلسي_ رحمه الله _ إذ عبر عن فكره وتجاربه بلغة اديب وشاعر وفيلسوف فكان الجمال.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، المركب، التمثيلي، الضمني.

توطئة

المقصود بالتشبيه المركب هو ما كان طرفاه مركبين ووجه الشبه منتزعاً من مكوناتهما المتشابكة والمتماسكة, فيكون على شكل لوحة تُصَوَّرُ بأكثر من مفرد,

* طالب ماجستير/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** مدرِّس/ قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد بعينه, بل يكون مأخوذاً منه ومن غيره أو من الصورة العامة[1].

وهو تشبيه اختلطت فيه الأمور أو الصفات التي يتكون منها طرفا التشبيه ويتحدان بحيث يتحولان إلى هيأةٍ مركبةٍ لا يمكن الفصل بين أجزائها[2].

ويعتمد هذا النوع من التشبيه على وجود أجزاء متعددة في الصورة ليربطها بعلاقة مشابهة مع الأجزاء المتعددة في الصورة الأخرى, وبذلك يكون (التشبيه المركب) الذي بين شيئين اثنين بشيئين اثنين, إذ تربط بين الصورتين علاقة انسجام تربط الأجزاء ببعضها عن طريق التشبيه الحاصل بينهما, يكشف البليغ من بحثه عن معالم الاتفاق بين الصورتين ليبرزها, فيضع صورة جديدة تتجه نحو المبالغة لتقرير الصورة وتأكيد ملامحها[3].

وتضمن كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي –رحمه الله– صوراً تشبيهية مركبة يمكن أنْ نُسَلِّطَ الضوء عليها في هذا البحث الذي يندرج تحته مبحثان مُمَثَّلان بالصورة المركبة التمثيلية والصورة المركبة الضمنية.

أولاً: التشبيه المركب التمثيلي

التشبيه التمثيلي كما يعرفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـــ) –رحمه الله– هو: "ما كان وجه الشبه فيه متأولاً, أو لم يكن الوجه فيه بيناً ظاهراً, وذلك إذا لم يقع الاشتراك بين الطرفين في الصفة نفسها وإنَّما في لازمها ومقتضاها, ويتحقق ذلك في التشبيه ذي الوجه العقلي"[4], ويكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة

1– ينظر: البلاغة في علم البيان, محمد عفران زين العالم, د.ط, دار السلام, 2006م: 39وينظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد, د.بكري شيخ أمين, ط1, دار الثقافة الإسلامية, 1982م: 22.

2– ينظر: علم البيان, د.بسيوني عبدالفتاح فيود, ط3, دار المعالم الثقافية, الإحساء–المملكة العربية السعودية, 1988م: 16

3– ينظر: بلاغة الصورة البيانية في شعر ابن زيدون, الباحثة انتصار محمود حسن سالم, كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق, مجلد 6, عدد 3, كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية: 1066

4– علم البيان, د.بسيوني عبدالفتاح فيود: 75

من أمور متعددة؛ لذلك يطلق عليه تشبيه الصورة[1], فيكون على شكل لوحة تُصَوِّرُ أكثرَ من مفرد, ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد بعينه, بل يكون مأخوذاً منه ومن غيره أو من الصورة العامة[2].

وَعَرَّفَهُ السكاكي بقوله: "واعلم أنَّ التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي, كان منتزعاً من عِدَّةِ أمورٍ خُصَّ باسم التمثيل"[3].

ومنه قوله سبحانه وتعالى﴿بَصِيرًا ۝٦ لِّتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٥﴾[البقرة: ٢٦١].

فقد شبَّهَ الله –عَزَّ وَجَلَّ– أَجْرَ من تصدق بأمواله في سبيل الله بالسنبلة التي تنبت سنابل وحبات عديدة, ووجه الشبه هنا هو (المضاعفة).

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢ □□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ ۝٥﴾[يونس: ٢٤].

تضمن النص صورة تشبيهية؛ إذ يشبه الله –عَزَّ وَجَلَّ– حال الدنيا في إقبالها وبهجتها ثم توليها بصورة مكونة من ماء ينزل من السماء ليختلط به نبات الأرض؛ فيزهو النبات, وتتزين به الأرض, ثم تصبح فناءً, وحال الدنيا في بهجتها وفنائها وإنْ كان يتكرر ألا أنَّ الإحساسَ به ليس بدرجة الإحساس نفسها بصورة النبات الزاهي الذي يصيبه الذبول؛ لِأَنَّ ذلك يقع كثيراً تحت البصر والسمع؛ ففي كُلِّ وقتٍ نرى نباتاً يحيا ونباتاً يموت, نرى إنظارهُ والذبول يمثلان أمامنا, نرى ذلك في الريف والحضر, والقرى والمدن, نرى في كُلِّ يومٍ أغصاناً وأعشاباً وأوراقاً ذابلةً تسقط,

1– ينظر: البلاغة العربية, تأصيل وتجديد, د.مصطفى الحويني, د.ط, دار المعارف بالإسكندرية, 1985م: 94

2– ينظر: البلاغة العربية, عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني, ط1, دار القلم, دمشق–سوريا, 1419هـ– 1996م: 186/2

3– مفتاح العلوم, السكاكي, د.ط, القاهرة, 1356هـ–1973م: 164

يمثل أمامنا فيها الفناء؛ ولهذا كَثُرَتْ هذه الصور في القرآن الكريم؛ لأنَّهُ أرادَ أنْ يَلْفِتَ في كُلِّ حالٍ إلى المصير المحتوم, وأراد كذلك أنْ يلفتَ إلى ضرورة التفكير فيما يحيط بالمسلم, ويقع عليه نظره, وضرورة أخذ العظة الوجدانية مِنَ الأشياء[1].

وخلاصة القول في هذا الصدد أنَّ التشبيه التمثيلي هو وصف حالة أو هيئة معينة بحالة أو هيئة أخرى, وفيه يشبه الأديب صورة مركبة بصورة أخرى, فيكون وجه الشبه منتزعاً من متعدد.

وهذا النوع من التشبيه تَكَرَّرَ كثيراً في كتاب ابن حزم –رحمه الله– فيقول: "وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي عَرَضِ الْدُّنْيَا كَبَائِعِ الْيَاقُوْتِ بِالْحَصَى"[2].

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية جميلة, شبَّهَ فيها ابن حزم حال الذي يبذل نفسه في عرض الدنيا بحال الذي يبيع ويستبدل الياقوت بالحصى بجامع الخسران, فالمشبه هو (صورة وحال الذي يبذل نفسه في عرض الدنيا) والمشبه به (صورة وحال الذي يبيع ويستبدل الياقوت بالحصى) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه أو المعنى الجامع بين طرفي التشبيه محذوف ويدلُّ سياق النص عليه, تقديره: (الخسران).

إنَّ الذي يسعى في الدنيا وملذاتها وشهواتها تاركاً الآخرة وما يعد لها كالذي يبيع الشيء الثمين بالحصى الذي لا قيمة له؛ فهنا يشبه النفس الكريمة العزيزة الفاضلة بالياقوت, وهو أفضل أنواع الحجارة[3] ومن الجواهر الثمينة ويطلق عليه البلور أو الفيروزج[4] وهو معدن نفيس يندر وجوده يستعمل في الحلي والزينة, فإذا انهمك

1– ينظر: الإعجاز البلاغي, دراسة تحليلية لتراث أهل العلم, د.محمد محمد أبو موسى, ط2, مكتبة وهبة, القاهرة, 1418هـ–1997م: 107

2– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي, تح: محمد مطر بن سالم الكعبي, ط1, دار القلم, دمشق–سوريا, 1432ه–2011م: 27

3– ينظر: رسالتان في اللغة, أبو الحسن علي بن عيسى الرماني, تح: إبراهيم السامرائي, د.ط, دار الفكر للنشر والتوزيع, عمان, 1984م: 76

4– ينظر: فقه اللغة وسر العربية, عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي, تح: عبدالرزاق المهدي, ط1, دار إحياء التراث العربي, 1422هـ–2002م: 209

الإنسان في تُرَّهَاتٍ وملذات الدنيا وأوغل فيها نَسِيَ نفسه, وضاعت قيمته, وفقد جوهريته من أجل تفاهات لا قيمة لها كالحصى, وهي "صغار الحجارة"[1] التي لا قيمة لها قياسا بالياقوت الثمين, فيكون بذلك كحال الذي بدل وباع الياقوت الثمين بالحصى التي لا ثمن ولا قيمة لها, مستبدلاً عِزَّهُ ومكانته بِذِلِّهِ وامتهانهِ؛ فشتان بين الياقوت النفيس الثمين وبين الحصى التي لا قيمة لها.

والإنسان العاقل هو من يبذل نفسه فيما هو أعلى منها, ولا يكون ذلك إلّا في سبيل الله لا في سبيل دنيا فانية لا قيمة لها قياساً بالآخرة التي هي الحياة الأبدية الخالدة؛ كي لا يكون كحال من باع الياقوت بالحصى في الخسران.

ولقد ذَمَّ الله الدنيا ووصفها بالقرآن الكريم كزهرة تزهر بنضارتها تسحر الألباب, وتستهوي القلوب, ثم لا تلبث إلّا فترة قليلة من الزمن حتى تذبل وتتلاشى تلك النضارة وتحطمها الريح كأنَّها لم تكن, قال تعالى﴿بَصِيرًا لِنُنذِرَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴿٥﴾ [الحديد: ٢٠].

والتشبيه لا يخلو من فنية؛ وذلك بفضل الإيحاءات التي توحيها ألفاظه؛ فنجد أنَّ طرفي التشبيه (باذل نفسه في عرض الدنيا) و (بائع الياقوت بالحصى) يبدآن باسم فاعل خاليان من التنوين ومضافان إلى معموليهما؛ ليدلّانِ على المضي وما فيه من معنى التحقيق[2]؛ فيوحي بحصول وتحقيق معنى (الخسران) في المستقبل لمن ضيع ماضيه ببذله نفسه في دنيا لا قيمة لها وترك العمل للآخرة, وباع بذلك الدنيا بالآخرة وكان كمن باع الياقوت بالحصى.

1- فقه اللغة وسر العربية: 39

2- ينظر: معاني النحو, د.فاضل صالح السامرائي, ط1, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, عمان-الأردن, 1420ه-2000م: 171/3

وأدَّى التشبيه وظيفة تهذيب النفس بترغيبها بفضيلة الزهد في الدنيا, وتنفيرها عن رذيلة حب الدنيا, والدعوة إلى أنْ يبذل الإنسان نفسه في سبيل الله لا في سبيل دنيا فانية؛ فالعبرة بالآخرة.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم –رحمه الله–, قوله: "وَطَالِبُ الْمَالِ لِعَيْنِ الْمَالِ, لَا لِيُنْفِقَهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالنَّوَافِلِ الْمَحْمُوْدَةِ أَسْقَطُ وَأَرْذَلُ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَيْوَانِ شِبْهٌ, وَلَكِنَّهُ يُشْبِهُ الْغُدْرَانَ الَّتِي فِي الْكُهُوفِ إِلّا مَا حَمَلَ مِنَ الْطَّائِرِ ثُمَّ تُجَفِّفُ الْشَّمْسُ وَالْرِّيْحُ مَا بَقِيَ مِنْهَا, كَذَلِكَ يُجْتَاحُ الْمَالُ الَّذِي لَا يُنْفَقُ فِي سَبِيْلِ اللهِ"[1].

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية يشبه ابن حزم –رحمه الله– فيها حال طالب المال حباً للمال لا لينفقه في الواجبات والنوافل المحمودة بحال وصورة غدران الماء في كهوف الجبال التي لا يستفيد منها شيء من المخلوقات سوى قليل من الطير.

والمشبه (حال وصورة طالب المال لعين المال لا لينفقه في الواجبات والنوافل المحمودة) والمشبه به (حال وصورة الغدران في كهوف الجبال) وأداة التشبيه (يشبه) ووجه الشبه بين الطرفين (انتفاء الفائدة ثم التلاشي والانتهاء), والغدران جمع (غدير) وهو "ماء صغير أو نقرة في الجبل يستنقع فيها الماءُ"[2].

كما أنَّ غدران الماء في كهوف الجبال لا ينتفع منها أحدٌ من الناس أو الحيوانات إلّا القليل من الطيور ثم تجفف الشمس والرياح بقية الماء ويتلاشى, كذلك صاحب المال الذي يجمعه ولا ينفقه في وجوهه لا ينتفع أحدٌ من الناس منه بل سيجتاح ماله ويتلاشى وينتهي بل سيكون حسرة لصاحبه وندامة يوم القيامة, قال تعالى: لِتُنذِرَ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى

1- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 31
2- لسان العرب, ابن منظور, تح: عبدالله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي, د.ط, دار المعارف, القاهرة, د.ت: 4527/6

ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا ﴿٩﴾

[التوبة: 34-35], فالذي يجمع المال لذات المال لا ليجعله وسيلة يستعين بها على تسهيل أمور الحياة أو ينفقه في الواجبات كالزكاة والنفقة على العيال أو الصدقة على الفقراء والمساكين؛ يكون هذا المستوى من البشر أشبه أو أقلَّ قدراً من الحيوان, بل هو مثل غدران الماء في كهوف الجبال التي لا ينتفع منها إنسان أو حيوان إلّا القليل من الطير ثم تجفف الشمس والرياح باقي الماء ويذهب ويتلاشى ولا يفيد أحد من الناس أو الحيوان منه.

والمال وسيلة وليس غايةً نحصل بواسطته على الأكل والأدوية وباقي الضروريات, وأنَّ الهدف الأسمى منه تحقيق مصالح الناس المشروعة وخدمة الدين والمجتمع, ويجب أن يسخر في منفعة الذات والأهل والناس, وتطوير طرق المعيشة وتغيير في بعض نواحيها؛ خدمةً للبشرية وللنفس.

وتشبيه حال وصورة طالب المال الذي لا ينفقه في تلك الوجوه المشروعة بحال وصورة غدران الماء في كهوف الجبال في انتفاء الفائدة منه والتلاشي, يدفعنا إلى صورة مكتملة ولوحة تامة نتخيل عن طريقها مشهد غدران الماء في الكهوف –تلك المياه القليلة– التي تتسلط عليها حرارة الشمس والرياح والتي ستجف؛ بسبب تسلط تلك العوامل الطبيعية عليها ثم ننتزع منها عن طريق الخيال وجه الشبه بين تلك الغدران والمال الذي لا ينفق في وجوه البرِّ بجامع عدم وصوله إلى مستحقيه أو عدم وصول مستحقيه إليه وبذلك تنتفي منه الفائدة التي كان من أجلها؛ فيكون بذلك كحال تلك المياه القليلة في تلك الكهوف ثم ينتهي ويتلاشى.

والتشبيه بصورته التمثيلية وبلوحته المتكاملة قائم على التخييل الذي يعد أحد أهم خصائص الصورة الفنية فضلاً عن عنصر (الإيحاء) الذي تثيره مفردات النص؛ فنجد أنَّ ابن حزم –رحمه الله– يستعمل أداة التشبيه بصيغة الفعل المضارع (يشبه) بهذا اللفظ الصريح الدال على التشبيه عاقداً منذ البداية علاقة التشبيه بين الطرفين بهذا اللفظ وبصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار والدوام والتجدد[1]؛ فيوحي بدوام

1- ينظر: معاني الأبنية في العربية, د.فاضل صالح السامرائي, ط1, بغداد, 1981م: 34-35

واستمرارية وتجدد انتفاء الفائدة من المال الذي لا ينفق في سبل الخير وتلاشيه وانتهائه كما هو حال مستنقعات المياه التي في كهوف الجبال التي تنتهي وتتلاشى دون أن ينتفع بها الإنسان أو الحيوان.

ونجد أنَّ ابن حزم في مستهل نصه ينفي ضمناً الشبه المطلق لطالب المال لعين المال بالحيوان بل يجعله أقل شأناً من الحيوان؛ لأنَّ الحيوان يُستَفادُ منه بخلاف جامع المال لعين المال الذي لا يُستفادُ منه في شيءٍ, مستخدماً لفظ الشبه الصريح الذي جاء اسماً صريحاً (شِبْهٌ) نكرةً في سياق النفي, والنكرة في سياق النفي تفيد العموم[1]؛ لينفي عموم الشبه بين هكذا صنف من الناس من أهل الشح والبخل وبين الحيوان, ثم بعد نفي شبههم بالحيوان يثبت شبههم بغدران الماء في كهوف الجبال بجامع عدم الانتفاع والفائدة ثم الانتهاء والتلاشي, وبهذا التضاد (انتقاء الشبه بين طالب المال لعين المال وبين الحيوان) و (إثبات الشبه طالب المال لعين المال وبين غدران الماء في كهوف الجبال) نكون أمام محسن بديعي وهو (المقابلة) الذي أعطى الكلام نوعاً من القوة والتأثير في نفس المتلقي وأضفى عليه رونقاً وبهاءً, موضحاً المعنى المراد من القول, فضلاً عن دوره في تلاحم ألفاظ النص وارتباط بعضها ببعض مؤدياً بدوره تأكيد المعنى الذي من أجله عُقِدَ التشبيه[2].

وأدّى التشبيه بصورته وظيفة تهذيب النفس بتنفيرها عن رذيلة الشح والبخل, وترغيبها بفضيلة الجود وإنفاق المال في وجوهه المشروعة.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم –رحمه الله–, قوله: "مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُوْمِ, وَتَرَكَ أَعْلَاهَا, وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ؛ كَانَ كَزَارِعِ الذُّرَةِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَجُوْدُ فِيْهَا الْبُرُّ, وَكَغَارِسِ الشَّعْرَاءِ حَيْثُ تَزْكُو النَّخْلُ والزَّيْتُوْنُ"[3].

1- ينظر: شرح الرضي على الكافية, رضي الدين الأستراباذي, تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر, د.ط, جامعة قاريونس, 1389هـ-1978م: 156/2

2- ينظر: علم البديع في البلاغة العربية, د.محمود أحمد حسن المراغي, ط1, دار العلوم العربية, بيروت-لبنان, 1411ه-1991م: 70

3- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 41

المشبه (حال الذي يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها مع قدرته عليه) والمشبه به (حال الذي يزرع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر وحال غارس الشعراء –وهي شجرة من الحمض وهو شجر لا يثمر[1]– في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه –المعنى– الجامع بين الطرفين (تقديم المفضول على الأفضل).

يشبه ابن حزم –رحمه الله– في هذا النص حال الذي يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وأشرفها من العلوم مع قدرته على تعلمها بحال وصورة زارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البُرِّ, وبحال غارس الشعراء –وهو شجر لا يثمر– في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون, وهو بذلك يترك الأفضل مستبدلاً إيّاهُ بالأقل جودةً, ومستبدلاً أدنى العلوم بالتي هي خير.

نلحظ أنَّ النص يبدأ بـــ(من الشرطية) التي تدلُّ على عموم الفاعل والإبهام[2]؛ فيوحي بعموم الذين يشغلون أنفسهم بأدنى العلوم ويتركون أعلاها وحالهم كحال زارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البُرِّ وكحال غارس الشعراء التي لا تثمر في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون المثمرة بجامع (الخسران واستبدال الأفضل بالمفضول), كما نلحظ أنَّ المُشَبَّهَ به (زارع الذرة, غارس الشعراء) ورد اسمَ فاعلٍ مضافاً إلى معموله؛ فَدَلَّ على المُضِيِّ الذي يفيد معنى تحقيق حصول الحدث وجرى مجرى الأسماء في الإضافة[3], فيوحي بتأكيد حصول خسارة من شغل نفسه بأدنى العلوم مع قدرته على أعلاها, فضلاً عن دقة ابن حزم –رحمه الله– في استعماله للألفاظ؛ فمثلاً نجده يستعمل (زارع) مع (الذرة) و(غارس) مع (شجر الشعراء)؛ ذلك أنَّ الغرس يكون للأشجار كالنخيل, والزيتون, والزراعة تكون للحبوب, كالذرة

1– ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري, تح: أحمد عبدالغفور عطار, ط4, دار العلم للملايين, بيروت–لبنان, 1407ه–1987م: 700/2

2– ينظر: المباحث المرضية المتعلقة بـــ(مَنْ) الشرطية, ابن هشام, تح: د.مازن المبارك, ط1, دار ابن كثير, دمشق–سوريا, بيروت–لبنان, 1408هـــ–1987م: 39

3– ينظر: معاني النحو: 171/3

والبُرِّ[1] , وكان لتكرار الفعل بالمعنى (يجود, تزكو), دورٌ في تأكيد معنى النص للمتلقي[2], وهي صورة تشبيهية جميلة من التشبيه التمثيلي؛ فأدنى العلوم قياساً بأعلاها, هي كالذرة قياساً بالبُرِّ, والبُرُّ أكثرُ نفعاً من الذرة للإنسان؛ ذلك أنَّ البُرَّ هو غذاءُ الناس الأساسي, وكشجر الشعراء الذي لا يثمر قياساً بأشجار النخل والزيتون المثمرة التي تنفع الإنسان, ونلحظ تعدد المشبه به دون المشبه, وهذا ما يسمى بـــ(تشبيه الجمع)[3].

إنَّ الإنسانَ العاقلَ هو من يشغل نفسه بالعلوم المفيدة التي تنفعه في دنياه وأخراه, ويترك ما لا فائدة له منها.

وفي هذا التشبيه أكثر من مشهد, المشهد الأول: مشهد من يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وهو قادر عليه, والمشهد الثاني: مشهد الذي يزرع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر, والمشهد الثالث: مشهد الذي يغرس الشعراء, وهو شجر لا يثمر, في الأرض الصالحة لغرس أشجار النخل والزيتون المثمرة, فتتعدد المشاهدُ وتتفق في وجوه كثيرة تلتقي كلها لتكون وجهاً واحداً وهو تقديم المفضول على الأفضل أو استبدال الذي أدنى بالذي هو خير, وكُلٌّ واحد من تلك الوجوه المفردة لا قيمة له إلّا من حيث أنَّهُ يخدم التشبيه الكبير بأنْ يكون حلقة من حلقاته أو طوراً من أطوارهِ بجامع ومعنى واحد, فمشهد الأرض التي يجود فيها البر أو التي تصلح لغرس شجر النخل والزيتون يلتقي مع مشهد أعلى العلوم في حصول الفائدة, ومشهد الذرة وغرس أشجار الشعراء التي لا تثمر يلتقي مع مشهد أدنى العلوم في انتفاء الفائدة, ومن هذه المشاهد المتعددة ينتزع منها وجهاً محدداً وواحداً يخدم هذا التشبيه

1- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم, ابن سيدة المرسي, تح: عبدالحميد هنداوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, 1421ه-2000م: 198/5 و 428

2- ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام, أبو علي أحمد المرزوقي, تح: غريد الشيخ, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, 1424ه-2003م: 164

3- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة, جلال الدين القزويني, شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبدالمنعم خفاجي, د.ط, دار الجيل, بيروت-لبنان, 1414ه-1993م: 234/1

في هذا النص, و (هو استبدال الذي أدنى بالذي هو خير وتقديم الأدنى على الأفضل) لمن شغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها فيكون كزارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البُرِّ, وكغارس الشعراء في الارض التي تصلح للنخل والزيتون.

وأعلى العلوم تلك التي تعين على طاعة الله وعلى نصر دينه وينتفع بها الناس وتحقق أهدافها الإنسانية وغاياتها في إدراك الحقائق الإيمانية الكبرى, والإيمان بها إيماناً يقينياً, فضلاً عن العلوم النافعة دينياً ودنيوياً, كعلوم القرآن الكريم, والحديث, والفقه في الدين, وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة, فضلاً عن علوم الطب والهندسة والرياضيات, وغيرها ممّا يؤثر في حياة الناس إيجاباً.

وأدنى العلوم تلك التي تتسم بالسطحية ويكون الانتفاع بها قليلاً قياساً بأعلى العلوم, أو هي تلك العلوم التي لا مصلحةَ للناس في تَعَلُّمِهَا.

فمن استطاع أنْ يشغلَ نفسَهُ بأعلى العلوم وأنفعها وتركها وانشغل بأدناها ممَّا لا يفيد منها في دنياه ولا في أخراه؛ فستكون تجارته خاسرةً, ويكون كالذي يغرس شجراً لا يثمر في أرضٍ تصلح لغرس النخل والزيتون, أو كمن يزرع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البُرِّ, والبرُّ هو أفضلُ من الذرة غذاءً للإنسان.

لقد كان لطباق الإيجاب (أدنى العلوم, أعلاها) الذي يقوم على المعنى وضده[1] دور كبير في إبراز المعنى وتأكيده للمتلقي؛ فأدنى العلوم وأدناها هي مدار معنى النص التشبيهي التي عُقِدَتْ المقارنة بينهما وانْتُزِعَ وجه الشبه على أساس تلك المقارنة.

ويؤدي التشبيه بصورته وظيفة تهذيب النفس بترغيبها بأعلى العلوم وأشرفها التي تعين على طاعة الله ونصر دينه ونفع عباده, وتنفيرها عن أدنى العلوم التي لا تعين على طاعة الله ولا ينتفع عباده بها.

1- ينظر:علم البديع في البلاغة العربية: 68

ومن نصوص التشبيه المركب التمثيلي في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "نَشْرُ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كَإِطْعَامِكَ الْعَسَلَ وَالْحَلْوَاءَ مَنْ بِهِ احْتِرَاقٌ وَحُمَّى أَوْ كَتَشْمِيمِكَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ لِمَنْ بِهِ صُدَاعٌ مِنِ احْتِدَامِ الْصَّفْرَاءِ"[1].

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية جميلة؛ إذ يشبه ابن حزم –رحمه الله– صورة وحال نشر العلم عند من ليس من أهله بصورة وحال إطعام العسل والحلواء من به احتراق وحمى وبصورة وحال تشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء بجامع الإفساد, والصفراء: هو ما يُطْلَقُ عليه في إصطلاح أهل الطب بمرض التيفوئيد[2].

فالمشبه هو (نشر العلم عند من ليس من أهله) والمشبه به (إطعام العسل والحلواء من به احتراق وحمى أو تشميم العسل والعنبر لمن به صداع بسبب التيفوئيد –احتدام الصفراء–) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (مفسد لهم).

ونلحظ تعدد المشبه به في هذا النص دون المشبه وهذا ما يطلق عليه في اصطلاح البلاغيين بـــ(تشبيه الجمع)[3].

فكما أنَّ العسل والحلواء تفسد صحة من به احتراق وُحُمَّى؛ لحِدَّتِه وَحِدَّةِ الحُمّى الذي يؤدّي إلى تهييجها؛ فتفسد صحة المريض وتحدث عنده مضاعفات سلبية[4] كذلك نشر العلم عند من ليس من أهله وعند من لا يعرف قيمته؛ يفسده وقد يؤدي إلى استعمال العلم في الطريق الخاطئ بالابتعاد عن الوسطية والسير في طريق التشدد أو التمييع, أو كتشميم المسك والعنبر –وهو ملك أنواع الطِيْبِ وأشرفها

1– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 40–41

2– ينظر: الطب النبوي, ابن قيم الجوزية, اعتنى به: مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي, ط2, دار ابن الجوزي, القاهرة–مصر, 1434هـ–2013م: 261 , 302

3– ينظر: البلاغة العربية: 198/2

4– ينظر: الطب النبوي: 173–174

وأطيبها- لمن به صداع من احتدام الصفراء -التيفوئيد-؛ لأنَّهما يؤديان إلى تهييج الصداع ويسببان كذلك مضاعفات سلبية للمريض تؤثر سلباً على صحته[1].

إنَّ نَشْرَ الْعِلْمِ عند من ليس أهلاً له يفسده ويؤدي إلى ضرر به ومن ثم إلى ضرر بالمجتمع؛ لأنَّهُ سيسخر العلم في غير وجوهه الذي يُفْتَرَضُ أنْ يصلحَ بهِ نفسه, وبه يدعو إلى إصلاح المجتمع.

والجدير بالذكر أنَّ غاية العلم هي الخيرُ, ولكن الذي ليس أهلاً للعلم قد يستعمله أداة للشرِّ كالعسل تماماً الذي هو بالأصل شفاءٌ للناس, لكنَّهُ يضرُّ من به احتراق وحُمّى؛ ذلك أنَّهُ يؤدي إلى تهييجها لحدته وحدة تلك الأمراض أو كتشميم المسك والعنبر لمن أُصِيْبَ بمرض صداع التيفوئيد -الصفراء- الذي يهيج ويتضاعف ضرره إنْ شَمَّ صاحبه ذلك الطيب الذي يعد أجود أنواعه.

والمعنى الجامع بين طرفي التشبيه (نشر العلم عند من ليس من أهلهِ) و(إطعام العسل والحلواء من به احتراق وحمى, وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء) هو (الضرر والإفساد), ونلحظ أنَّ هذا المعنى منتزع من متعدد وليس من مفرد؛ فالتشبيه مركب تمثيلي وعبارة عن لوحة متكاملة رسمها خيال ابن حزم -رحمه الله- محذراً من نشر العلم عند من ليس من أهله وعند من لا يستحقه.

ونلحظ أنَّ المعنى الجامع بين طرفي التشبيه (مفسدٌ لهم) ورد اسمَ فاعل منون نكرة؛ فيجري مجرى الفعل المضارع في المعنى؛ حيث يدلُّ على الاستمرار والدوام والتجدد[2]؛ فيوحي بدلالة استمرارية ودوام وتجدد إفساد العلم لمن ليس من أهله؛ فضلاً عن أنَّ طرفي التشبيه يبدآن بالمصدر: (نَشْرُ, إطعامك, تشميمك), والمصدر يدلُّ على الحدث خالٍ من الزمن[3]؛ فيوحي بتجاهل عنصر (الزمن) مؤكداً على الحدث الذي يؤدي إلى الإفساد في الأزمان كُلِّهَا ممثلاً بنشر العلم عند من ليس من أهله,

---

1- ينظر الطب النبوي: 261 , 302

2- ينظر: معاني النحو: 171/3

3- ينظر: مسائل خلافية في النحو, أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري البغدادي, تح: محمد خير الحلواني, ط1, دار الشروق, بيروت-لبنان, 1412هـ-1992م: 48

وإطعام العسل والحلواء لمن به إحتراق وَحُمَّى, وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء.

وقد رُوِيَ أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلّم) قال: "لا تطرحوا الدُرَّ في أفواه الخنازير"[1], "وأراد بـــ(الدر): العلم بجامع النفاسة والعزة, وأراد بـــ(في أفواه الخنازير): مَنْ ليسوا أهلاً للعلم كالسفهاء الذين لا يريدون بالعلم ما أمر الله به من العمل بل المباهاة والمنافسة؛ فإلقاء العلم إليهم إضاعةٌ له"[2], وقد شبه الله –سبحانه وتعالى– العالم غير العامل بالحمار, حيث قال: لِنُنذِرَ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا ﴿٩﴾ **[الجمعة: ٥].**

وعن أنس أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ويضيع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب"[3].

فالأشياء الثمينة والنفيسة وعلى رأسها العلم يجب ألّا تُعْطَى إلّا لمن يعرف قيمتها ويستعملها استعمالاً صحيحاً أمَّا إذا نُشِرَ العلمُ عند غير أهلهِ سيفسدهم كما يفسد العسل والحلواء صحة من يعاني من الحُمّى وكما يفسد المسك والعنبر صحة من به صداع وتيفوئيد.

والتشبيه يُكَوِّنُ صورةً ولوحة متكاملة تتكون من ثلاثة مشاهد, المشهد الأول: مشهد نشر العلم عند من ليس من أهله, والمشهد الثاني: مشهد إطعام العسل والحلواء لمن يعاني من الحمى, والمشهد الثالث: مشهد تشميم المسك والعنبر لمن يعاني من الصداع والتيفوئيد (الصفراء), والجامع بين تلك المشاهد هو (الضرر والإفساد) وهو وجه الشبه المنتزع من تلك المشاهد المتعددة التي اكتملت بها صورة

1- التنوير شرح الجامع الصغير, محمد بن إسماعيل الحسني الكحلاني, تح: محمد إسحاق محمد إبراهيم, ط1, مكتبة دار السلام, الرياض, 1432هـ-2011م, رقم الحديث: (9803) : 121/11
2- التنوير شرح الجامع الصغير: 121/11
3- سنن ابن ماجة, باب فضل العلماء والحث على طلب العلم, رقم الحديث: (224) :151/1

التشبيه التمثيلي الذي ارتكز على أهم خصائص الصورة الفنية وهو الخيال الذي عن طريقه عقد ابن حزم –رحمه الله– علاقة التشبيه بين طرفي التشبيه؛ فعمد إلى تشبيه العقلي المعنوي غير المحسوس (نشر العلم عند من ليس من أهله) بالمحسوس (إطعام العسل والحلواء لمن يعاني من الحمى وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء)؛ لتقريب الصورة للمتلقي, مُحذراً من مغبة نشر العلم عند من ليس من أهله؛ بسبب ما يؤدي ذلك إلى إفساد وأضرار على الفرد والمجتمع.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "النَّاسُ فِيْمَا يُعَانُوْنَهُ كَالْمَاشِي فِي الْفَلَا؛ كُلَّمَا قَطَعَ أَرْضاً بَدَتْ لَهُ أَرَضُوْنَ, وَكُلَّمَا قَضَى الْمَرْءُ سَبَباً حَدَثَتْ لَهُ أَسْبَابٌ"[1].

يشبه ابن حزم –رحمه الله– حال الناس فيما يعانونه في عدم انتهاء حاجاتهم بحال الماشي في الفلا, وهي الصحراء والأرض الواسعة.

فالمشبه (الناس فيما يعانونه) والمشبه به (الماشي في الفلا) وأداة التشبيه (الكاف) والمعنى الجامع أو وجه الشبه بين طرفي التشبيه هو (المعاناة وتجدد المشكلات, وكثرة الحاجات).

فحال الناس وما يعانونه من الهموم والأوجاع والفقر وتجدد حاجاتهم كحال الماشي في الصحراء والأرض الواسعة التي لا نهاية لها, ولا انقطاع لها؛ فكلّما قطع واجتاح أرضاً بدت له أرضون, وكذلك الناس كلّما قضوا سبباً من أسباب حياتهم حدثتْ لهم أسباب, وكُلّما حصلوا على حاجة معينة تجددت لهم حاجات, وهكذا هم في استمرار.

وكما أنَّهُ لا نهاية للأرضينَ في الصحراء, كذلك لا نهاية لمعاناة الناس من الهموم والأوجاع والفقر والأزمات, كُلَّمَا ذهبت أزمة وتلاشت ظهرت الأخرى وبدتْ.

فصورة التشبيه هنا تتكون من مشهدين يشكلّان لوحة متكاملة رسم فيها ابن حزم –رحمه الله– عن طريق الخيال مشهد حقيقة الناس فيما يعانونه مشبهاً إيّاهُ بمشهد الصحراء الواسعة التي يعاني الماشي فيها من سعتها وعدم قدرته على أنْ يقطعها؛

1– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 136

إذ كلَّما قطع أرضاً منها بدتْ له أرضون, منتزعاً من هذين المشهدين وجه الشبه الذي يجتمع المشهدان فيه وهو (تجدد المعاناة والمشكلات والحاجات), مصوراً حقيقة الناس فيما يعانونه كما هي؛ فالإنسانُ إذا حَقَّقَ أُمْنِيَةً أو حصل على حاجة معينة؛ يتطلَّعْ إلى غيرها؛ فهو دائماً يسعى إلى إشباع رغباته, والحصول على حاجاته؛ وهذه الحاجات لا نهاية لها, بل تتطور بتطور الحياة, لا حدود لها, كما هو حال الماشي في الصحراء, كُلَّمَا قطع أرضاً وانتهى منها بدتْ له أرضون غيرها؛ فهو يعاني من اتساع أراضيها.

وتشبيه حال الناس فيما يعانونه بحال الماشي في الصحراء الذي يعاني من سعتها, وعقد تلك المقارنة القائمة على التشبيه بين الصورتين, لا يخلو من فنية وجمال؛ إذ إنَّهُ يرتكز على أهم خصائص الصورة الفنية ألَا وهو (الخيال) الذي عن طريقه يتخيل المتلقي وجه الشبه المنتزع من الصورتين (صورة الناس فيما يعانونه) و (صورة الماشي في الصحراء) وهو الاتساع, وتجدد الحدث وهو تكرار المعاناة وتجدد الحاجات وتطورها بتطور الحياة باستمرار؛ فضلاً عن أنَّ النص مؤكداً بأداة الشرط (كُلَّمَا)؛ التي تفيد التأكيد, وهي ظرف يقتضي التكرار مُرَكَّبٌ من (كُل) و (ما) المصدرية أو النكرة التي بمعنى (وقت) ومن هنا جاءتها الظرفية[1]؛ فتوحي بتكرار وتجدد حاجات الناس ومعاناتهم كمعاناة الماشي في الصحراء الذي كُلَّما قطع أرضاً بدتْ له أرضون, وبهذه الأداة توفر أهم عنصر من عناصر الصورة الفنية وهو الإيحاء الذي هو أهم شرط من شروط فنية النص في النقد الحديث.

والنص بصورته دعوة للإنسان ونصيحة له بأنْ يُوَطِّنَ نفسه بالاكتفاء بالحاجات الضرورية, وترك غير الضرورية قدر الإمكان؛ من أجل سعادته وراحته.

1- ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, جلال الدين السيوطي, تح: عبدالحميد هنداوي, د.ط, المكتبة التوفيقية, مصر, د.ت: 600/2

ومن نصوص التشبيه المركب التمثيلي في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "غَفْلَةُ النَّفْسِ وَنِسْيَانُهَا مَا كَانَتْ فِيْهِ فِي دَارِ الْابْتِلَاءِ قَبْلَ حُلُوْلِهَا فِي الْجَسَدِ كَغَفْلَةِ مَنْ وَقَعَ فِي طِيْنٍ غَمْرٍ عَنْ كُلِّ مَا عَهِدَ وَعَرَفَ قَبْلَ ذَلِكَ"[1].

في النص تشبيه تمثيلي ووجه شبه بين صورتين ومشهدين وحالين يمرُّ الإنسان بهما في ظرفٍ ما من ظروف حياته, المشهد الأول: مشهد غفلة الإنسان أو النفس البشرية ونسيانها ما كانت فيه في دار الابتلاء من صحة وعافية قبل حلول الابتلاء في الجسد, والمشهد الثاني: مشهد غفلة من وقع في طين غَمْرٍ حتى غَطَّتْهُ عمَّا كان قبل وقوعه في تلك الطين.

المشبه (صورة غفلة الإنسان وحالته ونسيانه ما كان فيه من صحة وعافية ورخاء عند حصول الابتلاء) والمشبه به (صورة وغفلة وحالة من وقع في طين غمرٍ كثيرٍ حتى غَطَّتْهُ ونسيانه ما كان فيه قبل وقوعه في تلك الطين) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه والمعنى الجامع بين الصورتين والمشهدين هو (نسيان ما كان قبل الابتلاء من صحة وعافية ورخاء).

فالتشبيه يصور حقيقة واقعية, وهي حقيقة الإنسان الذي ينسى أيام الرَّخاء والصحة والعافية عندما يُمُرُّ في ظرفٍ قاسٍ أو شدة معينة أو مرض أو أيِّ ابتلاءٍ آخر, كما هو حال من وقع في طين كثير حتى غطَّتْهُ ونسيانه ما كان فيه قبل وقوعه في تلك الطين ويصور طبيعة الإنسان وجزعه ونسيانه وغفلته عَمَّا كان فيه قبل الابتلاء عند حصوله, وكأنَّهُ لَمْ يَرَ خيراً قبله, وهذا أشبه ما يكون بصورة وحال ذلك الذي وقع في طين غمر –كثير– حتى غطته وغفلته ونسيانه لحالته قبل وقوعه في تلك الطين.

وعند حلول المرض في الجسد ينسى صاحبه ما كان فيه من صحة قبل ذلك؛ ذلك أنَّ طبيعة النفس البشرية إذا وقعت في محنة ونكبة معينة نسيانُ ما كانت فيه من نعمة وصحة قبل ذلك, وهذا شبيهٌ بصورة من وقع في طين غمر كثير حتى غطَّاه ونسيانه وغفلته عن كُلِّ ما عرف وعهد قبل ذلك؛ فالإنسان جزوع؛ إنْ أصابه مكروه

1– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 63

أو شرٌّ, وقد وصفه الله بذلك في محكم التنزيل, وذلك بقولهِ: لِتُنذِرَ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ ٥ [المعارج: ٢٠].

وفي النص إشارة واضحة وتنبيه للإنسان بأنَّ أعظم ابتلاء هو ما يصيب جسده من مرض ونحوه.

والتشبيه هنا يرتكز على أهم عناصر الصورة التشبيهية وهو "الخيال" الذي عن طريقه تتضح علاقة الشبه والجامع المعنوي بين طرفي التشبيه, فضلاً عن دقة ابن حزم –رحمه الله– في استعماله لألفاظ الصورة التشبيهيه؛ حيث نلحظُ أنَّهُ يستعملُ المصدر (نسيان, الابتلاء, حلول) مع صورة المشبه (غفلة النفس...), والمصدر يدلُّ على الحدث مجرد من الزمن[1], فيوحي باستمرارية حدوث غفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه قبل حصول الابتلاء عند حصوله في الجسد, بينما استعمل الفعل الماضي (وقع, عَهِدَ, عرف) مع صورة المشبه به (غفلة من وقع في طين غمر...), والفعل الماضي يدلُّ على زمن مضى قبل زمن التكلم, وقد يحصل مرة واحدة ولم يتكرر[2], فيوحي بندرة وقلة حصول وقوع الإنسان في طين غمر قياساً بغفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه قبل الابتلاء قبل حلوله في الجسد؛ ذلك أنَّ غفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه من نعمة قبل حلول النغمة أمرٌ يحدث كثيراً, في حين أنَّ وقوعها في طين كثير ونسيانها ما قبل ذلك يحدث قليلاً, غير أنَّ الحالين يلتقيان في مسألة نسيان ما قبل الابتلاء عند حلوله في الجسد.

والتشبيه بصورته دعوة للأنسان على الصبر عند حلول الابتلاء وخاصة في الجسد؛ فضلاً عن دعوته لتذكر نعم الله عليه في السَّرَاء والضَّرَّاءِ.

ثانياً: التشبيه المركب الضمني

التشبيه الضمني هو نوع من أنواع التشبيه المركب يترك فيه عاقد التشبيه الطريقة المعهودة في ذكر المشبه والمشبه به ويتخذ طريقة غير صريحة في

1- ينظر: مسائل خلافية في النحو: 48
2- ينظر: معاني النحو: 308/3

التشبيه, وذلك بأنْ يأتيَ بكلام مستقل مقرون بكلام آخر, وقد استعمل هذا الكلام الآخر على معنًى يُفْهَمُ منه ضمناً تشبيه يناسب الكلام المستقل الذي اقترن به[1].

وَعَرَّفَهُ الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود بقوله: "التشبيه الضمني هو أسلوب من أساليب التشبيه لا يأتي صريحاً في سياق الكلام بل يكون مضمراً, والفرق بينه وبين التشبيه الصريح, هو أنَّ التشبيه الصريح يُذْكَرُ فيه المشبه والمشبه به, في حين التشبيه الضمني لا يُذْكَرُ المشبه ولا المشبه به, بل يُلْمَحَانِ من المعنى, وغالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً للمشبه, والأديب الذي يستعمل هذا الأسلوب في كلامه سوف يكون أبلغ وأشد تأثيراً في النفس؛ لِأنَّ المعنى غير واضح ويحتاج إلى تَمَعُّنٍ, وهذا الشيء يكون ذا مُتْعَةٍ أكثر من المعنى الواضح الذي يُفْهَمُ من ظاهر الكلام"[2].

وهو تركيب يُعْقَدُ فيه الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح؛ فهو تشبيه مضمر في النفس وَيُفْهَمُ من معنى الكلام وسياق الحديث[3], كقول المتنبي يمدح سيف الدولة:[4]

فإنْ تُفِق الأنامَ وأنتَ منهم فإنَّ المسك بعض دم الغزالِ

وهنا شَبَّهَ سيف الدولة في تفوقه على جميع الخلق من معاصريه حتى لَيُخَيَّلَ أَنَّهُ من جنس مستقل بالمسك في تفوقه على سائر أنواع الدماء؛ رغم أَنَّهُ منها, ووجه الشبه (تفوق الفرع على الأصل)؛ فالتشبيه ضمني حيث ورد تلميحاً لا تصريحاً.

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "وَأَمَّا الْاسْتِطَالَةُ عَلَى مَنْ لَا يُمْكِنُهُ الْمُعَارَضَةَ؛ فَسُقُوطٌ فِي الْطَّبْعِ وَرَذَالَةٌ فِي النَّفْسِ وَالْخُلُق

1- ينظر: البلاغة العربية: 202/2

2- علم البيان, د.بسيوني عبدالفتاح فيود: 124

3- ينظر: دروس البلاغة العربية, نحو رؤية جديدة, الأزهر الزناد, ط1, المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع, بيروت–لبنان, 1992م: 35

4- ديوان المتنبي, اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي, ط7, دار المعرفة, بيروت–لبنان, 1433هـ–2012م: 211

وَعَجْزٌ وَمَهَانَةٌ, وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَتَبَجَّحُ بِقَتْلِ جُرَذٍ أَوْ بِعَقْرِ بَرْغُوْثٍ أَوْ بِفَرْكِ قَمْلَةٍ, وَحَسْبُكَ بِهَذِهِ ضَعَةٌ وَخَسَاسَةٌ"[1].

استعمل ابن حزم –رحمه الله– في هذا النص الصورة التشبيهية الضمنية عن طريق تشبيهه المتبجح والمفتخر باستضعاف من لا يمكنه المعارضة من نساء وأطفال ونحوهم ممّن يتسمون بالضعف, بالمتبجح بقتل الجرذ, وهو ضرب من الفأر والجمع: الجرذان[2] والقملة, وهي دابة صغيرة من جنس القردان ألَا أنَّها أصغر منها, وشديدة التشبث بأصول الشعر[3] والبرغوث, وهو نوع من الحشرات, من صغار الهوام من فصيلة البرغوثيات عضوض شديد الوثب, يمتص دم الإنسان والحيوان, وينقل الأمراض الخبيثة إليه, وهو حشرة صغيرة حقيرة[4] وباقي الحشرات الضعيفة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها, بجامع الخسة والدناءة والرذالة؛ فتلك الحشرات ضعيفة والسيطرة عليها متاح للجميع ولا فخر ولا منقبة لمن سيطر عليها, وكذلك الضعفاء من الناس لا فخر ولا منقبة لمن سيطر وتطاول عليهم.

فلا فخر ولا عزَّ ولا منقبة لمن تطاولَ على ضعفاء الناس من الرجال المستضعفين أو النساء والأطفال الذين لا حيلة ولا قوة لهم كما لا فخر ولا عزَّ ولا منقبة لمن قتل برغوثاً أو جرذ أو فرك قملة أو غيرها من الحشرات.

فمحاولة السيطرة والاستطالة على الضعفاء من الناس هي فعل الأرذال والأخساء والأنذال والجبناء؛ إذ أنَّهم تطاولوا على من لا يمكنهم المعارضة والدفاع عن أنفسهم؛ لضعفهم وهوانهم على الناس, فأولئك المتطاولون على الضعفاء من الناس هم متشبهون بالذي يفتخر ويتبجح بقتل الحشرات والدواب الضعيفة كالفئران والجرذان

1- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 164

2- ينظر: جمهرة اللغة, ابن دريد الأزدي, تح: رمزي منير بعلبكي, ط1, دار العلم للملايين, بيروت–لبنان, 1987م: 453/1

3- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: 440/6

4- ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة, د.أحمد مختار عبدالحميد عمر, ط1, عالم الكتب, 1429هـ–2008م: 191/1

والبرغوث والقمل والنمل وغيرها من الحشرات بجامع الخسة والرذالة والدناءة والجبن والضعة وسوء الخلق.

وتشبيه ابن حزم –رحمه الله– المتطاولين على الضعفاء والذين لا يمكنهم المعارضة بالمتبجح والمفتخر بقتل الجرذ والبرغوث والقمل وغيرها من الحشرات الضعيفة يُصَوِّرُ لنا أمراً معنوياً معقولاً غير محسوس وهو (التطاول على الضعفاء) بأمر آخر أو مثال من الواقع المحسوس وهو (التبجح بقتل الحشرات الضعيفة كالبرغوث والجرذ والقمل وغيرها)؛ إثباتاً للمتلقين لحقيقة هذا الأمر المُنَفِّرِ لذوي النفوس العزيزة الكريمة, بتشبيه ضمني يفهم من سياق النص؛ فضلاً عن اللفظ (بمنزلة) التي تربط بين طرفي التشبيه المشار إليهما والتي كان لها فصل الكلام في توضيح هذا التشبيه.

ونلحظ دِقَّةَ اختيار الألفاظ لرسم الصورة التشبيهية؛ فالدلالة الإيحائية لقوله: (الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة) تثير معنى الاستعلاء, فالاستطالة مصدر الفعل (طال) على وزن (استفعال) الذي يدل على المبالغة في المعنى, فيوحي بمعنى المبالغة في التطاول على الضعفاء الذين لا دور لهم ولا يُؤْبَهُ بهم حتى إنَّهُ لم يذكرهم باسمهم الصريح؛ لِشِدَّةِ ضعفهم بل كَنَّى عنهم بـــ(من لا يمكنه المعارضة) مستعملاً حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء, فمن افتخر بالسيطرة على هؤلاء الضعفاء واستعلى عليهم وبالغ في ذلك؛ فسيكون السقوط مصيره المحتوم؛ لذلك اختار المُصَنِّفُ لنتيجة من تلك أفعاله ألفاظاً قاسيةً ممثلة بـــ (سقوط في الطبع, رذالة في النفس والخلق, عجز, مهانة) تلك الألفاظ التي توحي بسقوط من افتخر وبالغ في الاستعلاء على الضعفاء وجعله بمنزلة من افتخر بقتل الحشرات الضعيفة؛ فضلاً عن استعماله للمحسنات المعنوية واللفظية كالترادف المعنوي (ضعة, رذالة, خساسة) والجناس (رذالة, ومهانة) الذي كان له تناغمٌ صوتي؛ ذلك أنَّ الموسيقى الصوتية التي تقوم على جرس الكلمات المذكورة شكلت انسجاماً صوتياً, وخلقت جواً خاصاً للصورة التشبيهية التي تهدف إلى تنفير النفس الكريمة وتحذيرها من مغبة ومحاولة التطاول أو السيطرة على الضعفاء والافتخار بذلك, مستعملاً ابن حزم –رحمه الله– أساليبَ مختلفة في الكلام؛ بغيةَ إيصالها وتقوية المعنى للمخاطبين؛ فنجده يفتتح

حديثه بأسلوب التوكيد الذي أدَّتْهُ الأداة (أمَّا) التي تفيد توكيد الكلام وتقوية حكمه[1] مؤكداً بها علاقة الشبه بين طرفي التشبيه وترسيخه في ذهن المتلقي.

ويؤدي التشبيه بصورته وظيفة تنفير النفس عن رذيلة حب السيطرة والتطاول والاعتداء على الضعفاء من رجال وأطفال ونساء.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق قول ابن حزم: "تَأَمَّلْتُ كُلَّ مَا دُوْنَ السَّمَاءِ وَطَالَتْ فِيْهِ فِكْرَتِي, فَوَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِيْهِ مِنْ حَيٍّ وَغَيرِ حَيٍّ مِنْ طَبْعِهِ إِنْ قَوِيَ أَنْ يَخْلَعَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ كَيْفِيَّاتِهِ وَيُلْبِسَهُ صِفَاتِهِ؛ فَتَرَى الْفَاضِلَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ فُضَلَاءَ, وَتَرَى النَّاقِصَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ نُقَصَاءَ, وَتَرَى كُلَّ مَنْ ذَكَرَ شَيْئَاً –يَحُضُّ عَلَيْهِ– يَقُوْلُ أَنَا أَفْعَلُ أَمْرَ كَذَا وَكَذَا, وَكُلُّ ذِيْ مَذْهَبٍ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ مُوَافِقِيْنَ لَهُ, وَتَرَى ذَلِكَ فِي الْعَنَاصِرِ إِذَا قَوِيَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ أَحَالَهُ إِلَى نَوْعِيَّتِهِ, وَتَرَى ذَلِكَ فِي تَرْكِيْبِ الْشَّجَرِ, وَفِي تَغَذِّي الْنَّبَاتِ والْشَّجَرِ بِالْمَاءِ وَرُطُوْبَةِ الْأَرْضِ وَإِحَالَتِهِمَا ذَلِكَ إِلَى نَوْعِيَّتِهِمَا, فَسُبْحَانَ مُخْتَرِعِ ذَلِكَ وَمُدَبِّرَهُ, لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"[2].

تضمن النص صورة تشبيهية جميلة من التشبيه المركب الضمني تفهم من سياق الكلام, ولمعرفة أركانهِ ووجه الشبه بين طرفيه؛ لا بُدَّ من كَدِّ الذهنِ ودِقَّةِ القراءة؛ فيُشَبِّهُ فيها ابن حزم –رحمه الله– ميولَ الناس على اختلاف مذاهبهم ومحاولتهم إخلاع صفاتهم على غيرهم وعلى من هم دونهم من الناس بتركيب الشجر وتغذي النبات والشجر بالماء ورطوبة الأرض وإحالتهما ما دونها من النباتات إلى نوعيتهما بجامع حب السيطرة على الأدنى أو الغير.

فكما أنَّ الأشجارَ والنباتات إنْ قَوِيَتْ؛ أحالتْ عناصر التربة والماء ورطوبة الأرضِ إلى نوعيتها, وجعلتْ ما دونها من النباتات تابعةً لها, كذلك الناس وأصحاب

1- ينظر: علم المعاني, عبدالعزيز عتيق, ط1, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت–لبنان, 1430ه–2009م: 56

2- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 140–141

المذاهب إنْ مُنِحُوْا قُوَّةً؛ خَلَعُوْا على غَيْرِهِم ومن دونهم من الناس صفاتهم وألبسوهم فكرهم وجعلوهم تابعين لهم يسيرون على وفق نهجهم ومنهجهم.

وجميع أهل المذاهب والأفكار والعقائد والملل والنحل والأخلاق والسلوكيات يتمنون أنْ يكونَ الناسُ كُلُّهُم مِثْلَهُم وعلى وفق نهجهم, بل يحاولون السيطرة على أفكار من دونهم فِكْرَاً وَثقافةً وعلماً؛ ليحيلوهم إلى مذهبهم وعقيدتهم؛ ليكثرَ سوادهم بين الناس ويسودوا في المجتمع وتصبح الرياسة خاصةً بهم دون غيرهم متصدرين بذلك قيادة المجتمع على وُفْق أَفْكَارِهِم ومنهجهم وطريقتهم في إدارة شؤون الحياةِ, كما هو حال الأشجار والنباتات في أرضٍ معينة إنْ قَوِيَتْ على غيرها من النباتات والأشجار؛ أحالتْ عناصر التربة والماء ورطوبة الأرض إلى نوعها مسيطرةً بذلك على النباتات الضعيفة جاعلةً منها تابعةً لها, ويعرف ذلك كُلُّ من مارس مهنة الزراعة من فَلَّاحينَ ومزارعينَ في الأرياف.

فمثلاً نجدُ أشجارَ الحمضيات والنخيل والزيتون والفواكه بجميع أنواعها تسيطر على ما دونها من النباتات, وتسود عليها في الأرض التي تتواجد فيها؛ لسيطرتها على عناصر التربة والماء ورطوبة الأرض؛ لقوتها في تركيبها؛ فتحيل غيرها من النباتات الضيعفة إليها وتلبسها صفاتها, وتجبرها على النمو تحت ظلالها, فضلاً عن أنَّ النباتات المتسلِّقة الضعيفة ترتفع على جذوع الأشجار الضخمة؛ لكي تصل إلى ضوء الشمس[1], وكذلك الناس, نرى الفضلاء منهم يحاولون إحالة غيرهم إليهم وإلباسهم صفاتهم الفاضلة, ونرى النقصاء يحاولون إحالة غيرهم إليهم وإلباسهم صفاتهم الناقصة كذلك, وهكذا جميع أهل المذاهب الدينية أو السياسية يحاولون باستمرار دون كلٍّ أو ملٍ إحالة غيرهم من الناس إلى مذهبهم والسيطرة عليهم فكرياً وعقدياً وسياسياً؛ ليضمنوا بذلك كثرة مؤيديهم ومريديهم ومن ثم السيطرة على الناس من حولهم جاعلين منهم تبعاً لهم.

1- ينظر: الجغرافيا المناخية والنباتية, د.عبدالعزيز طريح شرف, ط11, دار المعرفة الجامعية, د.ت: 550 والمقدمات في الجغرافية الطبيعية, د.عبدالعزيز طريح شرف, د.ط, مركز الإسكندرية للكتاب, د.ت: 351

نجد أنَّ ابن حزم –رحمه الله– في هذه الصورة التشبيهية الجميلة يعتمد على أهم خصائص الصورة الفنية ألا وهو (الخيال) الذي أوجد عن طريقه طبيعة علاقة الشبه بين طرفي الصورة (الناس) و (النباتات والأشجار) بجامع معنوي يشتركان فيه وهو (محاولة السيطرة على الأدنى) عند توفر عناصر القوة وأسبابها عند الناس وعند النباتات والأشجار, معتمداً على سعة فكره وكثرة تجاربه وخبرته في الحياة, فضلاً عن المحسنات اللفظية والمعنوية كالطباق بين (حي, وغير حي) و (الفاضل, والناقص) والمقابلة بين (يخلع على غيره من الأنواع كيفياته, ويلبسه صفاته) و (الفاضل يود لو كان الناس فضلاء, والناقص يود لو كان الناس نقصاء), فكان لهذا التضاد دور في إبراز المعنى للمتلقي؛ فالأشياء تتميز بأضدادها, ذلك أنَّ النص يقوم على شيئين متضادين يتنازعان في حب السيطرة على الآخر والانفراد بالسيادة والرياسة والتي ستكون للأقوى منهما, ونجد الجناس بين (كيفياته, وصفاته) و (فضلاء, ونقصاء) و(إحالتهما, ونوعيتهما) وما حققه من إيقاعٍ داخلي؛ فالموسيقى اللفظية هي أهم وسائل الانتفاع بالأصوات في الصورة الفنية والتي تخدم المعنى الذي يرُادُ إيصاله للمتلقي وهو محاولة سيطرة القوي على الضعيف مستعملاً ألفاظاً توحي بالقوة ممثلة بـــ(يَحُضُّ, أنا أفعل أمر كذا وكذا, وتكرار حرف الاستعلاء "على", وَقَوِيَ بعضها على بعض), فيوحي بمعنى حقيقة محاولة سيطرة القوي على الضعيف في كلِّ حين, ويرى حقيقة ذلك كُلُّ من تأَمَّلَ في طبيعة الأشياء من نباتات وغيرها.

ثم يختم المُصَنِّفُ نَصَّهُ بتعجبه من هذه الحقيقة التي أودعها الله –سبحانه وتعالى– في الأشياء بقوله: (فسبحان مخترع ذلك ومدبره, لا إله إلّا هو) معترفاً بقدرة الله على تدبيره واختراعه للأشياء وطبيعتها العجيبة!.

والنص التشبيهي الضمني بصورته التي أنتجها خيال ابن حزم –رحمه الله– يمثل دعوةً للتمسك بالمبادئ العليا والأخلاق الرفيعة والدفاع عنها, ومنع محاولات مصادرتها من قبل المتربصين, فضلاً عن أنَّهُ بيان لحقيقة محاولة سيطرة مواطن القوة على مواطن الضعف في الأشياء في كلِّ حين.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "مَا رَأَيْنَا شَيْئاً فَسَدَ فَعَادَ إِلَى صِحَّتِهِ إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ, فَكَيْفَ بِدِمَاغٍ يَتَوَالَى عَلَيْهِ فَسَادُ الْسُّكْرِ كُلَّ لَيْلَةٍ؟! وَإِنَّ عَقْلاً زَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ تَعْجِيْلَ إِفْسَادِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ؛ لَعَقْلٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَّهَمَ"[1].

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شَبَّهَ ابن حزم –رحمه الله– تأخُّرَ عودة الدماغ الذي أفسده السكر إلى صحته وعافيته بتأخر عودة الأشياء المادية من مواد غذائية وأدوية التي فسدت بانتهاء مدتها أو لأيِّ سبب آخر, بجامع إبطاء صحتها وعودتها إلى طبيعتها وتأخر إمكانية استعمالها

ومعنى "بَعْدَ لَأْيٍ" أي: بعد بُطْءٍ وجهد ومشقة وزمنٍ طويلٍ[2], فكما أنَّ الأشياء المادية من مواد غذائية ونحوها التي فسدت وأمست غير صالحة للاستهلاك البشري يتأخر إصلاحها, بل يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل وجهد ومشقة, كذلك الدماغ الذي توالى علية فساد السكر كل ليلة يحتاج إصلاحه إلى زمن طويل وجهد ومشقة.

ونلحظ أنَّ التشبيه لم يأتِ صريحاً في النص, بل يحتاج إلى تأويلٍ وكَدٍّ للذهن؛ لمعرفة طرفيه ووجه الشبه بينهما؛ فهو تشبيه ضمني يعمد ابن حزم –رحمه الله– فيه إلى تشبيه المعنوي غير المحسوس (فساد الدماغ؛ بسبب توالي السكر عليه كل ليلة) بالمعنوي المحسوس (فساد الأشياء المادية؛ بسبب إنتهاء مدتها أو أي سبب آخر) بجامع تأخر عودة صحتها وما كانت عليه إلّا بعد مدة زمنية طويلة, وَرُبَّمَا لا تعود!.

نلحظ أنَّ ابن حزم –رحمه الله– يبدأ نَصَّهُ بنفي ظاهر صريح بـــ(ما) الداخلة على الفعل الماضي (رأينا) والإستثناء المفرغ (إلّا بعد لأي) الذي أعطى معنى (القصر) بطريقة النفي والإستثناء المفرغ الذي أفاد التوكيد, بل هو قمة أساليب وأدوات

1– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 45–46

2– ينظر: العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي, تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي, د.ط, دار ومكتبة الهلال, د.ت: 354/8

التوكيد؛ فهذا الأسلوب يتضمن الإثبات القصدي والنفي التبعي[1] نفى ابن حزم –رحمه الله– به إصلاح ما فسد من أشياء مادية, ثم أثبت لها الإصلاح بعد مدة زمنية ومشقة وجهد وبطء ومجاهدة ومكابدة, كما نلحظ استعمال الاستفهام مع المشبه بالأداة (كيف) التي خرجت إلى معنى النفي؛ تنبيهاً للمتلقي؛ لِيُرَكِّزَ على المعنى الأساسي في النص وهو (الدماغ) وخطورة إفساده بالمسكرات ونحوها والذي لا يمكن إصلاحه إلّا بعد مدة زمنية طويلة؛ فهو ينفي عودة الدماغ الذي أفسده السكر إلّا بعد مدة زمنية طويلة ومشقة وجهد, رابطاً بينه وبين الأشياء المادية بعلاقة المشابهة عن طريق التشبيه الضمني, منتزعاً وجه الشبه من الصورتين وهو (إبطاء وتأخر عودة ما فسد إلى صحته إلا بعد مدة زمنية وبذل جهد).

وأدَّى التشبيه بصورته وظيفة تنفير النفس عن كُلِّ ما يؤدِّي إلى إفساد الدماغ من مسكرات ونحوها والتحذير منها على وجه الدوام والاستمرار.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله متحدثاً عن مدح الناس وذَمِّهم: "وَأَمَّا إِنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَدْحُ النَّاسِ إِيَّاهُ؛ فَكَلَامُهُم وَسُكُوْتُهُم سَوَاءٌ, وَلَيْسَ كَذَلِكَ ذَمُّهُم إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ غَانِمٌ لِلْأَجْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ, بَلَغَهُ ذَمُّهُم أَمْ لَمْ يَبْلُغْهُ"[2].

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شَبَّهَ ابن حزم –رحمه الله– كلام الناس بسكوتهم لمن لم يبلغْهُ مدح الناس إياه بجامع عدم التأثير في ذلك المدح.

ونرى أنَّ طرفي التشبيه لم يردا على الطريقة المعهودة في ذكر المشبه والمشبه به, بل اتّخذا طريقة غير صريحة في التشبيه فُهِمَا ضمناً من سياق النص, وتقدير الكلام هو: (كلام الناس في المدح كسكوتهم لمن لم يبلغة مدح الناس).

فَمن لم يبلغه مدح الناس إياه؛ فكلام الناس حينئذ مثل سكوتهم في عدم التأثير فيه؛ ذلك أنَّ المدح إنْ لم يصل إلى أسماع الممدوح؛ يكون كلام الناس فيه كسكوتهم,

1– ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية, د.صباح عبيد دراز, ط1, مطبعة الأمانة, كلية اللغة العربية, جامعة الأزهر, 1406ه–1986م: 22–23

2– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 29

لا يتأثر به, ولا يفيد منه, ولا يغتبط به, بخلاف ذم الناس له؛ فإنَّهُ يفيد منه على كُلِّ حالٍ, بلغه ذمهم أم لم يبلغه؛ لِأنّهُ سيحصل على الأجر؛ بسبب غيبتهم له.

والنص يقوم على ركيزتين اثنتين وصورتين (صورة المدح) و (صورة الذم), مفرقاً ابن حزم –رحمه الله– بينهما من حيث التأثير في حالتي بلوغهما للمدوح أو المذموم من عدمه, مفضلاً الذمَّ على المدح في باب الحصول على الأجر والثواب, سواء أبلغه ذمهم أم لم يبلغه, بخلاف المدح الذي لا أجر فيه ولا ثواب, سواء أبلغه مدحهم أم لم يبلغه.

وتشبيه كلام الناس بسكوتهم في المدح لمن لم يبلغه مدح الناس إياه لا يخلو من صورة فنية؛ إذ إنَّه يعتمد على أهم خصائص الصورة الفنية ألا وهو (الخيال), فضلاً عن الإيحاء الذي توحيه ألفاظه؛ فكلمة (سواء) أسهمتْ في تقريب الصلة بين طرفي التشبيه إلى درجة المساواة, فضلاً عن أنَّهَا سَهَّلَتْ للمتلقي إيجاد طرفي التشبيه الضمني وانتزاع وجه الشبه منهما, كما أنَّ للتضاد بين مفردات النص دور في تأكيد المعنى وتقويته في ذهن المتلقي؛ فالطباق (كلامهم, سكوتهم) والمقابلة (مدح الناس إياه, ذمهم إياه) و (بلغه ذمهم, لم يبلغه) كان لهما دورٌ كبير في إضفاء الجمال والرونق والبهاء على القول, وأدَّتْ تلاحماً وارتباطاً قوياً بين الألفاظ؛ واستدعتْ المعاني بعضها عن طريق هذا التضاد؛ فالأشياء تتميز بأضدادها[1].

والنص تحيط به توكيدات عديدة أسهمت في إيصال المعنى وتوكيده وتقويته؛ فالمصنِّفُ –رحمه الله– يستهلُّ نَصَّهُ بـــ(أمّا) التي تفيد الاهتمام والعناية والتأكيد, وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد, وفائدتها في الكلام أنَّها تعطيه فَضْلَ توكيد وتقوية للحكم[2], فضلاً عن دقته في استعمال الألفاظ للنص التي تحمل توكيداً أكثر من غيرها؛ فمثلاً نجده يقول: (لم يبلغه), ولم يقل: (لم يصله)؛ ذلك أنَّ البلوغ هو منتهى

1– ينظر: علم البديع في البلاغة العربية: 71–72

2– ينظر: علم المعاني: 56 وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري, تح: محمد محيي الدين عبدالحميد, د.ط, دار الطلائع, جدة–المملكة العربية السعودية, 2009م: 78/1

المرور والوصول إلى الشيء والتمكن منه, ولا يحمل (الوصول) هذا المعنى[1], ثم يؤكد حصول من ذُمَّ من قبل الآخرين على الأجر بقولهِ: (لِأَنَّهُ غانم للأجر على كُلِّ حال)؛ فقال: (غانم) ولم يقلْ: (حاصل)؛ ذلك أنَّ (الغنيمة) تطلق على ما أُخِذَ من أموال الأعداء بقتال أثناء المعارك[2],فيوحي بمعنى كثرة الأعداء والحُسَّادِ الذين يتربصون بالإنسان وتسليط ألسنتهم عليه بالغيبة والنميمة والذم, سواء أبلغه ذمهم أم لم يبلغه؟؛ لكنَّهُ سينتصر عليهم في النهاية وسيحصل على غنيمة الأجر والثواب.

وأدَّى التشبيه بصورته الفنية الجميلة وظيفة تهذيب النفس بتنفيرها عن رذيلة حب المدح التي تتولد عنها أمراض نفسية ورذائل أخرى كالعجب بالنفس والغرور والكبر والنفاق.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم-رحمه الله- قوله: "وَرَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ الْعُلُوْمَ, وَعَرَفَ عُهُوْدَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَوَصَايَا الْحُكَمَاءِ, وَهُوَ لَا يَتَقَدَّمُهُ فِي خُبْثِ السِّيْرَةِ, وَفَسَادِ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيْرَةِ شِرَارُ الْخَلْقِ, فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مَوَاهِبٌ وَحِرْمَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى"[3].

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شَبَّهَ ابن حزم -رحمه الله- صنفاً من الناس وهم (من طالع العلوم, وعرف عهود الأنبياء ووصايا الحكماء) بـــ(شرار الخلق) في (خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة).

ويكمن جمال هذه الصورة التشبيهية في أنَّها من التشبيه المركب الضمني الذي يحتاج إلى كَدِّ الذهن ودقة النظر في تفحصه؛ لمعرفة طرفي التشبيه والمعنى المشترك بينهما.

فأخذ التشبيه -هنا- صيغةً مضمرة خفية مذكورٌ فيه الطرفان بطريقة غير صريحة, بل تُلْمَحُ تلميحاً, وتُفْهَمُ من سياق المعنى.

1- ينظر: الكليات, أبو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي, تح: عدنان درويش ومحمد المصري, د.ط, مؤسسة الرسالة, بيروت-لبنان, د.ت: 247

2- الفروق اللغوية, أبو هلال العسكري, ط2, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, 2010م: 192

3- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 49

فَكَثِيْرٌ ممن طالع العلوم وعرف سير الأنبياء والأولياء والصالحين واطلع على وصايا الحكماء نجدهم متشبهين بشرار الخلق في خبث السيرة وفساد السريرة والعلانية؛ ذلك أنَّهم لم يفيدوا من علمهم ولم يعملوا به عندما شابهوا شرار الخلق بأفعالهم وسلوكياتهم مِمَّا سيعود عليهم بِأسْوأ الأثرِ عاجلاً أم آجلاً؛ فعاجلاً في الدنيا الخزي والعار وعدم التوفيق, وآجلاً في الآخرة؛ فسيكون علمهم حجةً عليهم يوم القيامة؛ إذ لم يعملوا بعلمهم الذي اطَّلعوا عليه, بل ساروا في طريق الغواية –طريق الشيطان– متشبهين بـــ(شرار الخلق).

إنَّ العلم الذي تعلموه يُفْتَرَضُ أنْ يجعل منهم أخياراً لا متشبهين بالأشرار, ولكنَّ الشيطانّ أغواهم, وجعلهم كشرار الناس في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة.

نلحظ أنَّ ابنَ حزمٍ –رحمه الله– افتتح النص بجملة خبرية (ورأيتُ) فعلها ماضٍ الذي يدلُّ على تحقيق حصول الحدث ووقوعه[1]؛ مؤكداً فيه حقيقة وجود كثير من الناس الذين تعلموا العلم ولم يعملوا به, بل تشبّهوا بشرار الخلق في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة, محققاً التشبيه وظيفة تنفير النفس عن رذيلة التشبه بـــ(شرار الخلق) في الأقوال والأعمال والأخلاق, ومحذراً من مغبة عدم العمل بالعلم.

ونجد أنَّ المُصَنِّفَ استعمل أسلوب الطباق (مواهب, وحرمان) و (العلانية, والسريرة) لإيصال المعنى للمتلقي؛ فالضدُّ يتميز بضده, وهذا التضاد بين الألفاظ يوحي بالتباين بين أهل العلم وشرار الخلق الذين يُحَذَّرُ من التشبه بهم.

ومن نصوص التشبيه الذي يخالف النص السابق بالمعنى, ويتفق معه بنوع التشبيه (المركب الضمني) قول ابن حزم –رحمه الله– قوله: "وَرَأَيْتُ مِنْ أَغْمَارِ الْعَامَّةِ مَنْ يَجْرِي مِنَ الْاعْتِدَالِ, وَحَمِيْدِ الْأَخْلَاق إِلَى مَا لَا يَتَقَدَّمُهُ فِيْهِ حَكِيْمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ, وَلَكِنَّهُ قَلِيْلٌ جِدَاً"[2].

1– ينظر: معاني النحو: 314/3

2–مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 49

وهنا يشبه ابن حزم –رحمه الله– صنفاً قليلاً من الناس ومن أغمارهم وعامتهم بالحكيم والعالم الرائض لنفسه بجامع الاعتدال وحميد الأخلاق, فأغمار العامة هم ضعفاؤهم وسوادهم الأعظم وكثرتهم[1].

ويكمن جمال هذه الصورة التشبيهية في أنَّها من التشبيه المركب الضمني الذي يحتاج إلى كَدِّ الذهن في تفحصه لمعرفة طرفي التشبيه ووجه الشبه المنتزع من صورتيهما.

فبعض العامة من الناس –على قلتهم– ومن دون تَعَلُّمٍ شابهوا الحكيم العالم الرائض لنفسه في الاعتدال والأخلاق الحميدة, فطرةً وسليقةً وسجية وطبع فيهم.

والاعتدال هو الاستقامة والمضي على النهج القويم من دون انحراف, وهو أصلح الأمور, وحميد الأخلاق, هي ما كانت موافقةً لأحكام شريعتنا, التي لا تخرج عن نهج القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فمن عَوَامِّ الناس مَنْ يكون معتدلاً في أخلاقه وسلوكه وتصرفاته وأفعاله فطرةً من دون دراسة أو تعلم وكأنَّهُ حكيم عالم رائض لنفسه؛ فنراهم يسيرون في طريق مستقيمٍ لا يحيدون عنه, ولا تأخذهم في الله لومة لائم مع أَنَّهم من عامة الناس ومن أغمارهم, ولكنَّهم قليل.

ويشير ابن حزم إلى قلّةِ هؤلاء العامة الذين يجرون من الاعتدال قياساً بالحكيم العالم الرائض لنفسه ثلاث مرات, المرة الأولى عن طريق (من التبعيضية)[2] بقوله (من أغمار...) التي تدلُّ على قلّتهم, والمرة الثانية في نهاية النص عندما قال: (قليلٌ جداً) تأكيداً لمعنى قلتهم, والمرة الثالثة, نرى أنَّه اختارَ التعريف بالإضافة مع (أغمار العامة) الذي يدلُّ على القلة؛ قياساً بالتنكير في قوله: (حكيمٌ عالمٌ رائضٌ لنفسه) الذي

1– ينظر: الغريب المصنف, أبو عبيد القاسم بن سلّام, تح: صفوان عدنان داوودي, د.ط, مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, 1417هـ: 359/1

2– ينظر: الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين, دراسة على ألفية ابن مالك, إبراهيم بن صالح الحندود, ط33, الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, 1421هـ–2001م: 431

يدلُّ على العموم والكثرة[1], وهو بذلك يدعو للتمسك بالعلم وطلب الحكمة؛ ترويضاً للنفس للسير في طريق الاعتدال والتمسك بحميد الأخلاق؛ إنْ لم يحصلوا عليها فطرة وسليقة؛ بسبب بيئتهم أو أي سبب آخر؛ فما لا يُحصَل عليه بالفطرة؛ يمكن الحصول عليه عن طريق طلب العلم والحكمة.

ونرى كذلك أنَّ ابن حزمٍ –رحمه الله– يستهل نصه بجملة فعلية (رأيتُ) فعلها ماضٍ, والذي يدل على تحقيق حصول الحدث ووقوعه[2] الذي يوحي بحقيقة وجود هكذا صنف من الناس –على قلتهم– يجرون من الاعتدال وحميد الأخلاق كما يجري منهما حكيمٌ عالمٌ رائضٌ لنفسه.

ويؤدي التشبيه بصورته الفنية الجميلة وظيفة تهذيب النفس بترغيبها بفضيلة الاعتدال والتمسك بالأخلاق الحميدة الفاضلة التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة

ومن جميل نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم –رحمه الله– قوله: "مِنْ عَجِيْبِ قُدْرَةِ اللهِ كَثْرَةُ الْخَلْقِ, ثُمَّ لَا تَرَى أَحَداً يُشْبِهُ آخَرَ شِبْهَاً لَا يَكُوْنُ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ, وَقَدْ سَأَلْتُ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَبَلَغَ الثَّمَانِيْنَ عَاماً, هَلْ رَأَى الْصُّوَرَ فِيْمَا خَلَا مُشْبَّهَةً لِهَذِهِ شِبْهَاً وَاحِداً؟ فَقَالَ لِي: لَا, بَلْ لِكُلِّ صُوْرَةٍ فَرْقُهَا, وَهَكَذَا كُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ, يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ تَدَبَّرَ الْآلَاتِ وَجَمِيْعِ الْأَجْسَامِ الْمُرَكَّبَاتِ, وَطَالَ تَكَرُّرُ بَصَرُهُ عَلَيْهَا, فَإِنَّهُ حِيْنَئِذٍ يُمَيِّزُ مَا بَيْنَهَا, وَيَعْرِفُ بَعْضَهَا بِفُرُوْقٍ فِيْهَا, تَعْرِفُهَا النَّفْسُ, وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا بِلِسَانِهِ, فَسُبْحَانَ الْقَدِيْرِ الَّذِي لَا تَتَنَاهَى مَقْدُوْرَاتُهُ"[3].

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شبه ابن حزم –رحمه الله– فيها صورة الناس على كثرتهم وعدم وجود الشبه التام بين أحد وآخر, ولَا بُدَّ من وجود الفرق بينهما بصورة الآلات والأجسام المركبات التي لا تتشابه شبهاً واحداً ولا بُدَّ من وجود الفارق بين آلةٍ وأخرى رغم أنّها مصنوعة في شركة واحدة أو في مكان واحد, ويَرى ذلك من تدبرها؛ ففي هذا النص إشارةٌ إلى تشابه الخلق في أشكالهم بين جيلٍ

1– ينظر: المقتضب, أبو العباس المبرد, تح: محمد عبدالخالق عظيمة, د.ط, عالم الكتب, بيروت–لبنان, د.ت: 276/4

2– ينظر: معاني النحو: 314/3

3– مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق, الأخلاق والسير, ابن حزم الأندلسي: 141–142

وآخر, وحتى في الجيل الواحد, لكن في الحقيقة لا يكون الشبه إلى درجة استحالة الفوارق؛ فَلَا بُدَّ من وجود الفوارق بينهم, وهذه الفوارق قد لا ينتبه إليها الآخرون ولا يستطيعون تمييزها, وقد شبه ذلك بالآلات والأجسام المركبات التي مهما تشابه شكلها للناظرين؛ فلا بُدَّ من وجود الفارق بتشبيه مركب ضمني عقد فيه ابن حزم –رحمه الله– الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح, مضمراً, فُهِمَ من معنى الكلام وسياق الحديث.

إنَّ الناس –على كثرتهم– وباختلاف أممهم وقومياتهم واختلاف ألسنتهم لا نرى أحداً يشبه آخراً شبهاً تاماً؛ فلا بُدَّ من وجود فرق بينهما, وكذلك الآلات والأجسام المركبات التي هي من صنع الإنسان؛ فإنَّ من تدبرها؛ يجد الفارق بينها وإنْ كانت مصنوعةً في مكان واحد أو في شركة واحدة, وهذا دليل على قدرة الله –سبحانه وتعالى– الذي منح الإنسان عقلاً وهدايةً لصنع تلك الآلات والأجسام المركبات.

والنص يرتكز على أهم عناصر الصورة الفنية ألا وهو (الخيال) الذي أوجد ابن حزم –رحمه الله– عن طريقه علاقة الشبه بين طرفيه وانتزاع وجه الشبه منهما وهو (لا بد من وجود الفارق بين الأشياء التي يُظَّنُ فيها الشبه المطلق).

ونلحظ أنَّ ابن حزم –رحمه الله– يستهل نصه ويؤكده بأسلوب القصر بطريقة تقديم ما حقه التأخير, وهو قوله: (من عجيب قدرة الله كثرة الخلق) وهو تقديم شبه الجملة (من عجيب قدرة الله) التي هي الخبر على المبتدأ (كثرة الخلق), فالقصر هو قمة أساليب وأدوات التوكيد[1], ثم ينفي الشبه المطلق بين أحدٍ وآخر من الناس –على كثرتهم– ثم يشبههم ضمناً بالآلات والأجسام المركبات التي لا بد من وجود الفارق بينها, معطياً أدلة وبراهين تثبت صحة ما يذهب إليه, مقدماً صورة التشبيه بصبغة فكرية منطقية؛ لإقناع المتلقي بفكرته التي يريد إيصالها له عن طريق هذا التشبه الضمني, ثم يستعمل اسلوب الاستفهام: (هل رأى الصور...)؛ ليجلب انتباه

1– ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: 9

المتلقين إلى الحدث الرئيس في النص؛ وليعلمهم بحقيقة وجود الفرق بين الأشياء والناس, ويرى ذلك من تدبرهم.

والتشبيه بصورته دعوة للتفكر بقدرة الله وعظمته التي لا مثيلَ لها عن طريق النظر والاعتبار في خلقه –على كثرتهم–؛ لا يوجد شبه تام بين إنسان وآخر, فلا بُدَّ من وجود الفارق, فضلاً عن الآلات والأجسام المركبات جميعها التي صنعها الإنسان لا يوجد شبه تام بينها, ومن تدبرها؛ يجد الفرق واضحاً فيما بينها.

الخاتمة

بعد أنْ تَمَّ هذا البحث (التشبيه المركب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي) بعون الله ومنه وتوفيقه؛ يمكن لي أنْ أُبَيِّنَ أهم النتائج التي توصل إليها البحث وعلى النحو الآتي:

لقد كان للتشبيه المركب دور كبير في تأدية معاني الزهد في الرذائل والترغيب بالفضائل في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي –رحمه الله–.

- التشبيه المركب يكون أجمل إذا ما صُبِغَ بصبغةٍ فكرية منطقية يتناولها أديب ومفكر وشاعر وفيلسوف عربي مسلم كابن حزم الأندلسي –رحمه الله– إذ عَبَّرَ عن فكره وتجاربه بلغة أديب وشاعر, فكان الجمال.
- أغلب التشبيهات مستمدة من الواقع المحسوس؛ لتقريب الصورة للمتلقين.
- ارتباط الصورة التشبيهية المركبة بعلم الدلالة ارتباطاً وثيقاً.
- كان دور المصنف –رحمه الله– كبيراً في إضفاء الجمال على نصوص التشبيه الفكرية والمنطقية والفلسفية النابعة من فكره وعمق تجاربه في الحياة, مستعملاً لغة أدبية جميلة, لغة شاعر وأديب ومفكر إسلامي.

References

1. "Al-Furuq Al-Lughawiyah" by Abu Hilal Al-Askari, 2nd edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2010: p. 192.
2. "Al-Gharib Al-Musannaf" by Abu Ubaid Qasim bin Salam, edited by Safwan Adnan Dawoodi, Ph.D., Journal of the Islamic University in Al-Madinah, 1417 AH: Vol. 1, p. 359.

3. "Al-Izah fi Ulum al-Balaghah" by Jalal al-Din Al-Qazwini, explanation, commentary, and revision by Mohammed Abdel Moneim Khafaji, Ph.D., Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon, 1414 AH - 1993: Vol. 1, p. 234.
4. "Al-Kuliyat" by Abu Ayyub Musa Al-Husseini Al-Quraymi Al-Kufi, edited by Adnan Darwish and Mohammed Al-Masri, Ph.D., Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, date not mentioned: p. 247.
5. "Al-Muhkam wa al-Muhit al-Azam" by Ibn Sayyidah Al-Marsi, edited by Abdul Hamid Hindawi, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1421 AH - 2000: Vol. 5, p. 198 and 428.
6. "Al-Sahah: The Crown of Language and the Correctness of Arabic" by Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari, edited by Ahmed Abdul Ghafour Attar, 4th edition, Dar Al-Alam Lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 1407 AH - 1987: Vol. 2, p. 700.
7. "Al-Sahah: The Crown of Language and the Correctness of Arabic" by Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari, edited by Ahmed Abdul Ghafour Attar, 4th edition, Dar Al-Alam Lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 1407 AH - 1987: Vol. 2, p. 700.
8. "Arabic Rhetoric" by Abdul Rahman bin Hassan Habnaka Al-Maidani, 1st edition, Dar Al-Qalam, Damascus, Syria, 1419 AH - 1996: Vol. 2, p. 186.
9. "Arabic Rhetoric: Roots and Renewal" by Dr. Mustafa Al-Haweeni, Ph.D., Dar Al-Ma'arif, Alexandria, 1985: p. 94.
10. "Controversial Issues in Grammar" by Abu Al-Baqaa Abdullah bin Al-Hussein Al-Akbari Al-Baghdadi, edited by Mohammed Khair Al-Halawani, 1st edition, Dar Al-Shorouk, Beirut, Lebanon, 1412 AH - 1992: p. 48.
11. "Dictionary of Modern Arabic Language" by Dr. Ahmed Mukhtar Abdulhamid Omar, 1st edition, Alam Al-Kutub, 1429 AH - 2008: Vol. 1, p. 191.
12. "Diwan Al-Mutanabbi" edited and explained by Abdulrahman Al-Mustaui, 7th edition, Dar Al-Maarefa, Beirut, Lebanon, 1433 AH - 2012: p. 211.
13. "Enlightenment: Explanation of Al-Jami Al-Saghir" by Mohammed bin Ismail Al-Hasani Al-Kahhalani, edited by Mohammed Ishaq Mohammed Ibrahim, 1st edition, Maktabat Dar

Al-Salam, Riyadh, 1432 AH - 2011, Hadith number: (9803): Vol. 11, p. 121.

14. "Explanation of Al-Kafiya" by Radi Al-Din Al-Astrabadi, correction and commentary by Yusuf Hasan Umar, Ph.D., University of Qarawiyyin, 1389 AH - 1978: Vol. 2, p. 156.
15. "Explanation of the Diwan of Al-Hamasah by Abu Tammam" by Abu Ali Ahmed Al-Marzouqi, edited by Ghareed Al-Shaykh, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1424 AH - 2003: p. 164.
16. "Healing Souls and Refining Morals: Morals and Conduct" by Ibn Hazm Al-Andalusi, edited by Muhammad Matar bin Salem Al-Kaabi, 1st edition, Dar Al-Qalam, Damascus, Syria, 1432 AH - 2011: p. 27.
17. "Jamharat Al-Lughah" by Ibn Duraid Al-Azdi, edited by Ramzi Munir Baalbaki, 1st edition, Dar Al-Alam Lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 1987: Vol. 1, p. 453.
18. "Jurisprudence of Language and the Secret of Arabic" by Abdul Malik bin Muhammad bin Ismail Abu Mansur Al-Tha'labi, edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1st edition, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1422 AH - 2002: p. 209.
19. "Lessons in Arabic Rhetoric: Towards a New Vision" by Al-Azhar Al-Zanad, 1st edition, Arab Cultural Center for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1992: p. 35.
20. "Meanings of Grammar" by Dr. Fadil Saleh Al-Samarra'i, 1st edition, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution, Amman, Jordan, 1420 AH - 2000: Vol. 3, p. 171.
21. "Prophetic Medicine" by Ibn Qayyim Al-Jawziyya, edited by the Center of the Minbar for Verification and Scientific Research, 2nd edition, Dar Ibn Al-Jawzi, Cairo, Egypt, 1434 AH - 2013: p. 261, 302.
22. "Rhetoric in the Science of Expression" by Muhammad Afraan Zain Al-Alam, Ph.D., Dar Al-Salam, 2006: p. 39. See also: "Arabic Rhetoric in Its New Form" by Dr. Bakri Sheikh Amin, 1st edition, Dar Al-Thaqafa Al-Islamiyya, 1982: p. 22.
23. "Rhetorical Inimitability: An Analytical Study of the Scholarly Heritage" by Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, 2nd edition, Wahba Library, Cairo, 1418 AH - 1997: p. 107.
24. "Science of Expression" by Dr. Basyouni Abdul Fattah Fayyad, 3rd edition, Dar Al-Maalem Al-Thaqafiyya, Al-Ahsa, Kingdom of Saudi Arabia, 1988: p. 16.

25. "Stylistic Techniques in the Noble Quran and its Rhetorical Secrets" by Dr. Subhi Obeid Diraz, 1st edition, Al-Amanah Printing Press, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, 1406 AH - 1986: pp. 22-23.
26. "The Morbid Investigations related to 'Man' in Conditional Clauses" by Ibn Hisham, edited by Dr. Mazen Al-Mubarak, 1st edition, Dar Ibn Kathir, Damascus, Syria, Beirut, Lebanon, 1408 AH - 1987: p. 39.
27. "The Poetic Necessity and its Concept according to Grammarians: A Study on Ibn Malik's Alfiyyah" by Ibrahim bin Saleh Al-Handoud, 33rd edition, Islamic University in Al-Madinah, 1421 AH - 2001: p. 431.
28. "The Science of Meanings" by Abdulaziz Atiq, 1st edition, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1430 AH - 2009: p. 56.
29. "The Science of Meanings" by Abdulaziz Atiq: p. 56. Also, refer to "Mughni Al-Labib 'An Kutub Al-A'arib" by Ibn Hisham Al-Ansari, edited by Mohammed Muhiuddin Abdulhamid, Ph.D., Dar Al-Tala'ee, Jeddah, Saudi Arabia, 2009: Vol. 1, p. 78.
30. "Two Treatises on Language" by Abu Al-Hasan Ali bin Isa Al-Ramani, edited by Ibrahim Al-Samarra'i, Ph.D., Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution, Amman, 1984: p. 76.
31. The Science of Eloquence in Arabic Rhetoric" by Dr. Mahmoud Ahmed Hassan Al-Marraghi, 1st edition, Dar Al-Alam Al-Arabiyya, Beirut, Lebanon, 1411 AH - 1991: p. 70.

The Compound Simile in the Book 'The Healing of Souls and Refining the Morals' by Ibn Hazm Al Andalusi (T 456 A.H.)

Ali Abd Ali Al-Hashemi*
Shaymaa Ahmed Mohammed**

Abstract

The research deals with the image of the combined simile with its two types (representative and implicit) in the book 'Healing Souls and Refining Morals' by Ibn Hazm – may God have mercy on him – and how he employed it? And the home of beauty in it and its components of language, revelation, imagination, its role and its accuracy in choosing the words of the analogy that imply other connotations understood through their context in the text, and this type of analogy had a great role in performing the meanings of abstinence in vices and enticing virtues in the book Healing Souls and Refining Morals by Ibn Hazm Andalusian_may God have mercy on him _ and the complex metaphor was beautiful, as it was dyed with a logical intellectual tint that was addressed by an Arab Muslim writer, thinker, poet and philosopher, who is Ibn Hazm Al-Andalusi – may God have mercy on him – as he expressed his thought and experiences in the language of a writer, poet and philosopher, so beauty was.

Keywords: Simile, compound, representational, implicit.

* **Master Student/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**
** **Lect/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**